صلوات مهجورة

صلاة التوبة
صلاة الاستخارة

كتبه

محمد بيومى

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله مـــن شـــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلـــــل فـــلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الـذى خلقكم مـن نفس واحـدة وخلـق منها زوجها وبـث منهما رجـالاً كثيراً ونسـاءا واتقـوا الله الـذى تسـاءلون بـه والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

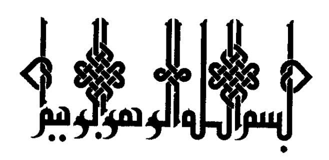
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ .

وبعـد ،،،

فهذه الرسالة ذكرت فيها بعض الصلوات التى هجرهـــا النـــاس ولا يؤدونها إلا قليلا ، وهذه الصلوات فيها خير ونفع عظيـــم لمـــن صلاهـــا ، وسوف نذكر هذه المنافع والخيرات لهذه الصلوات أثناء الكلام عنها .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

****


بسم الله الرحمن الرحيم

صلاة التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلاة التوبة

عن على رضى الله عنه قال : حدثنى أبو بكر ـ وصدق أبو بكر ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما من رجل يذنب ذنباً ، فيحسن الطهور ، ثم يقوم ويصلى ركعتين يستغفر الله من ذلك الذنب إلا غفر الله له " ثم قرأ : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ [آل عمران : ١٣٥][1].

فوائد الحديث

قول على رضى الله عنه : " وصدق أبو بكر " قال ابن حجر : جملة معترضة بيَّن بها على رضى الله عنه جلالة أبى بكر رضى الله عنه ، ومبالغته فى الصدق ، حتى سماه رسول الله ﷺ صديقاً.

قوله ﷺ : " ما من رجل " أى : أو امرأة .

قوله ﷺ : " يذنب ذنباً " أى : أى ذنب كان .

قوله ﷺ : " فيحسن الطهور " أى فيتوضأ فيحسن الوضوء .

****

(١) حسن. رواه أحمد (١/٢ و ٨و ٩و١٠) وأبو داود (١٥٢١) والترمذى (٤٠٦-٣٠٠٦) وابن أبى شيبة (٣٨٧/٢) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (٤١٧) والطيالسى فى مسنده (ص/٢) والحميدى فى مسنده (١-٥) وابن ماجة (١٣٩٥) والطبرانى فى الدعاء (١٨٤١-١٨٤٢-١٨٤٣-١٨٤٤) والطبرانى فى تفسيره (٧٨٥٣-٧٨٥٤-٧٨٥٥) والمروزى فى مسند أبى بكر (٩-١٠-١١) وابن حبان (٣٨٩/٢) رقم (٦٢٣-إحسان) والبغوى فى شرح السنة (١٠١٥) وحسنه الترمذى وابن عدى وابن كثير وجود إسناده الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب فى ترجمة أسماء بن حكيم .

قوله ﷺ : " يستغفر الله " المراد بالاستغفار التوبة بالندامة والإقلاع والعزم على أن لا يعود إليه أبدا ، وأن يتدارك الحقوق إن كانت هناك.

قوله " ثم قرأ " أى النبى ﷺ استشهاداً واعتضادا ، أو قرأ أبو بكر تصديقا وتوفيقا [١].

قوله تعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة** ﴾ الفاحشة تطلق على كل معصية ، وقد كثر اختصاصها بالزنا ، وأصل الفحش : القبح والخروج عن الحد .

قوله تعالى : ﴿ **أو ظلموا أنفسهم** ﴾ ، أى باقتراف ذنب من الذنوب قيل هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر ، وقيل : الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ، وقيل غير ذلك ، قال النخعى : الظلم من الفاحشة والفاحشة من الظلم [٢].

قوله تعالى : ﴿ **ذكروا الله** ﴾ معناه بالخوف من عقابه والحياء منه.

وقيل : تفكروا فى أنفسهم ، إن الله سائلهم عنه ، وعن مقاتل : ذكروا الله باللسان عند الذنوب.

قوله تعالى : ﴿ **فاستغفروا لذنوبهم** ﴾ ، أى طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم ، فالاستغفار عظيم وثوابه جسيم .

قال علماؤنا : الاستغفار المطلوب هو الذى يحل عقد الإصرار ويثبت معناه فى الجنان ، لا التلفظ باللسان .

فأما من قال بلسانه : أستغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار ، وصغيرته لاحقة بالكبائر.

....

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القارى (٣/٤٠٧) .
(٢) فتح البيان فى مقاصد القرآن صديق حسن خان (٢/٣٣٤) .

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : "استغفارنا يحتاج إلى استغفار" **قلت:** هذا يقوله فى زمانه ، فكيف فى زماننا هذا الذى يُرى فيه الإنسان مكبا على الظلم حريصا عليه لا يقلع ، والسبحة فى يده زاعما أنه يستغفر الله من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف ، وفى التنزيل ﴿**ولا تتخذوا آيات الله هزوا**﴾

قوله تعالى : ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ ، أى ليس أحد يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها إلا الله [١] وفيه ترغيب لطلب المغفرة من الله سبحانه وتنشيط للمذنبين أن يقفوا فى مواقف الخضوع والتذلل [٢].

قوله تعالى : ﴿ **ولم يصروا على ما فعلوا** ﴾ ، أى لم يديموا ولم يستمروا على ما فعلوا من الذنوب [٣] ، والإصرار هو أن ينوى ألا يتوب فإذا نوى التوبة النصوح خرج عن الإصرار [٤].

قوله تعالى : ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ قال البيضاوى : يعلمون جزاء الإصرار أو ثواب الاستغفار ، أو صفة ربهم العزيز الغفار ، كما ورد فى الأخبار عن أبى هريرة مرفوعاً : " إن عبداً أصاب ذنباً " ، فقال : رب أذنبت ذنباً فاغفره لى ، فقال ربه : أعَلِم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً فقال : رب أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى ، فقال : أعَلِم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً ، فقال : رب أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى ، فقال أعلم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثلاثاً. " فليفعل ما شاء " رواه الشيخان والنسائى.

....

(١) تفسير القرطبى (٤/٢١٠-٢١١) ط دار الشام للتراث بيروت. باختصار.

(٢) فتح البيان صديق حسن خان (٢/٣٣٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٨).

(٤) تفسير القرطبى (٤/٢١١).

قيل فى معنى الحديث : قد يطلق الأمر للتلطف ، وإظـــهار العنايـــة والرحمة كما تقول لمن تراقبه وتتقرب إليه وهو يباعد ويقصر فى حقـــك : افعل ما شئت فلست أعرض عنك ، ولا أترك ودادك ، وهو فى الحديث بهذا المعنى ، أى إن فعلت أضعاف ما كنت تفعل ، ثم استغفرت عنه غفر لـــك فإنى أغفر الذنوب جميعاً مادمت عنها مستغفراً إياها ، وليس معناه : فليعمـل ما شاء إذا كان بالوصف السابق كما يتبادر فإنه يتضمن الأمـــر بالمعصيـــة والتوبة ، وهو لا يصح فتأمل (١).

وفى الحديث دليل على صحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب ؛ لأن التوبة الأولى طاعة وقد انقضت وصحت ، وهو محتاج بعد مواقعة الذنـــب الثانى توبة أخرى مستأنفة ، والعود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائـــه ؛ لأنه أضاف إلى الذنب نقض التوبة فالعودة إلى التوبة أحسن من ابتدائـــها ؛ لأنه أضاف إليها ملازمة الإلحاح بباب الكريم ، وأنه لا غافر للذنوب سواه (٢).

الباعث على التوبة

قال القرطبى : قال علماؤنا : الباعث على التوبة وحل الإصـــرار ، إدامة الفكر فى كتاب الله العزيز الغفار ، وما ذكره الله سبحانه من تفـــاصيل الجنة وما وعد الله به المطيعين ، وما وصفه من عذاب النـــار وتـــهدد بـــه العاصين ، ودام على ذلك حتى قوى خوفه ورجاؤه فدعا الله رغباً ورهبـــاً ، والرغبة والرهبة ثمرة الخوف والرجاء ، يخاف من العقاب ويرجو الثواب ، والله الموفق للصواب (٣).

....

(١) مرقاة المفاتيح (٤٠٨/٣ - ٤٠٩) .   (٢) تفسير القرطبى (٢١٣/٤).

(٣) المصدر السابق (٢١١/٤-٢١٢) .

من أحكام التوبة

شروط التوبة :

شروط التوبة ثلاثة : هي:-

١) أن يندم العبد على ما سلف منه في الماضي.

٢) أن يقلع عن الذنب في الحال.

٣) أن يعزم على أن لا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي فيه التوبة ، فإن في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم .

فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة(١).

وهذه الشروط الثلاثة تكون بين العبد وربه ، وهناك شرط آخر يكون بين التائب وبين الناس ، وهو رد المظالم إلى أهلها إن كان هناك مظالم .

ويخرج التائب من المظالم التي تتعلق بحق الآدمي ، إما بأدائها إليه ، أو باستحلاله من هذه المظلمة ، لقول النبي ﷺ :" من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إلا الحسنات والسيئات" (٢) وإن كانت هذه المظلمة قدح أو غيبة أو قذف لآدمي فهل يشترط في التائب أن يعلم الشخص بذلك ليتحلل منه ؟

والجواب على هذا أنه إذا غلب على ظن التائب أن المظلوم سيسامحه ويعفو عنه فليعلمه ويتحلل منه .

....

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/١٤٥) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم ، باب : من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته .

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنه لا يشترط على التائب إعلام من نال من عرضه وقذفه واغتيابه ، بل يكفي توبته بينه وبين الله. وأن يذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره به من الغيبة ، فيبدل غيبته بمدحه والثناء عليه ، وذكر محاسنه ، وقذفه بذكر عفته وإحصانه ويستغفر له بقدر ما اغتابه [1].

قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ : واحتج أصحاب هذه المقالة بأن إعلامه مفسدة محضة ، لا تضمن مصلحة ، فإنه لا يزيده إلا أذى وحنقاً وغماً ، وقد كان مستريحاً قبل سماعه ، فإذا سمعه ربما لم يصبر على حمله، وأورثته ضرراً في نفسه أو بدنه .. وما كان هكذا فإن الشارع لا يبيحه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به.

قالوا : وربما كان إعلامه به سبباً للعداوة والحرب بينه وبين القائل ، فلا يصفوا له أبداً ويورثه علمه به عداوة وبغضاء مولدة لشر أكبر من شر الغيبة والقذف ، وهذا ضد مقصود الشارع من تأليف القلوب والتراحم والتعاطف والتحابب ، قالوا: والفرق بين ذلك وبين الحقوق المالية وجنايات الأبدان من وجهين :

الوجه الأول : أنه قد ينتفع بها إذا رجعت إليه ، فلا يجوز إخفاؤه عنه ، فإنه محض حقه ، فيجب عليه أداؤه إليه بخلاف الغيبة والقذف ، فإنه ليس هناك شيء ينفعه يؤديه إليه إلا إضراره وتهييجه فقط ، فقياس أحدهما على الآخر من أفسد القياس .

الوجه الثاني : أنه إذا أعلمه بها لم تؤذه ولم تهج منه غضباً ولا عداوة ، بل ربما سره ذلك وفرح به. بخلاف إعلامه بما مزق به عرضه طول عمره ليلا ونهاراً من أنواع القذف والغيبة والهجو ، فاعتبار أحدهما بالآخر اعتبار فاسد وهذا هو الصحيح في القولين كما رأيت. والله أعلم [2].

....

(١) انظر مدارج السالكين (١ / ٢٢٧) .

(٢) انظر مدارج السالكين (١/٢٢٧-٢٢٨) .

علامات التوبة الصحيحة

التوبة المقبولة الصحيحة لها علامات

منها : أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها.

ومنها : أنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين ، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه : ﴿ **أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ [فصلت : ٣٠] فهناك يزول الخوف.

ومنها : انخلاع قلبه وتقطعه ندماً وخوفاً ، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها ، ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه ، وتقطعه ، فمن لم يتقطع قلبه فى الدنيا على ما فرط حسرة وخوفاً ، تقطع فى الآخرة إذا حقت الحقائق ، وعاين ثواب المطيعين ، وعقاب العاصين ، فلا بد من تقطع القلب إما فى الدنيا وإما فى الآخرة.

ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضاً : كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا تكون لغير المذنب ، لا تحصل بجوع ، ولا رياضة ، ولا حب مجرد ، وإنما هى أمر وراء هذا كله ، تكسر القلب بين يدى الرب كسرة تامة قد أحاطت به من جميع جهاته وألقته بين يدى ربه طريحاً ذليلاً خاشعاً.

فالله ما أحلى قوله فى هذه الحال : " أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى ، أسألك بقوتك وضعفى ، وبغناك عنى وفقرى إليك ، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سواى كثير وليس لى سيد سواك ،

لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيناه وذل لك قلبه ".

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبرالناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة ، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته وليرجع إلى تصحيحها ، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة ، وما أسهلها باللسان والدعوى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. (١)

....

(١) انظر : مدارج السالكين (١/١٤٩-١٥٠) .

فرح الله بتوبة عبده

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لله أفرح بتوبة عبده ــ حين يتوب إليه ــ من أحدكم ، كان على راحلة له بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال : من شدة الفرح ــ اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح "(١).

قال ابن القيم : وفى الحديث من قواعد العلم : أن اللفظ الذى يجرى على لسان العبد خطأ من فرح شديد ، أو غيظ شديد ، ونحوه لا يؤاخذ به ، ولهذا لم يكن كافراً بقوله : " أنت عبدى وأنا ربك ".

ومعلوم أن تأثير الغضب فى عدم القصد يصل إلى هذه الحال ، أو أعظم منها ، فلا ينبغى مؤاخذة الغضبان بما صدر منه حال شدة غضبه من نحو الكلام ، ولا يقع طلاق بذلك ، ولا ردته. وقد نص الإمام أحمد على تفسير الإغلاق فى قوله ﷺ : " لا طلاق فى إغلاق " (٢) ، بأنه الغضب ، وفسره به غير واحد من الأئمة وفسروه بالإكراه والجنون.

قال شيخنا (يعنى ابن تيمية) : وهو يعم هذا كله ، وهو من الغلق، لانغلاق مصدر المتكلم عليه ، فكأنه لم ينفتح قلبه لمعنى ما قاله (٣).

وسبب فرح الله بتوبة عبده ، هو أن الله عز وجل قد خص الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه ، وخلقه لنفسه ، وخلق كل شىء له ، وسخر له ما فى سماواته وأرضه وما بينهما ، حتى ملائكته -الذين هم أهل قربة-

(١) رواه البخارى (٦٣٠٩) ومسلم (٦٨٢٦) واللفظ له.
(٢) حسن. رواه أحمد (٢٧٦/٦) وأبو داود (٢١٩٣) وابن ماجه (٢٠٤٦) والحاكم (١٩٨/٢).
(٣) مدارج السالكين (١٦٦/١-١٦٧).

استخدمهم له ، وجعلهم حفظة له فى منامه ويقظته وظعنه وإقامته ، وأنـــزل عليه كتبه وأرسل إليه كتبه ، وجعله خيرة خلقه واتخذه محبوباً له.

وهذا المحبوب له عدو بغيض إلى الله وهو إبليس اللعيـــن ، وهــذا اللعين يريد أن يبعد الإنسان عن خالقه ورازقه ولا يترك سبيلاً يؤدى إلى هذا البعد إلا وسلكه ، وقد يزين هذه السبل للإنسان حتى يوقعه فيها.

فإذا انحرف الإنسان عن الصراط المستقيم واستجاب لنداءات إبليـس اللعين فقد استجلب على نفسه سخط وغضب أرحم الراحمين رب العالمين .

فإذا عاد الحبيب إلى سيده " وجدَّ فى الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتبة بابه ، وتوسد ثرى أعتابه ، متذللاً متضرعاً ، خاشـعاً باكياً آسفاً يتملق سيده ويسترحمه ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيـــده إليـــه واستسلم له وأعطاه قياده وألقى إليه زمامه ، فعلم سيده ما فى قلبه فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه ومكان الشدة عليه رحمة به وأبدله بالعقوبـــة عفــواً وبالمنع عطاء وبالمؤاخذة حلماً ، فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ما هـو أهله وما هو موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا فكيف يكون فرح سيده به؟ وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعاً واختياراً وراجع ما يحبه سيده منه برضــــاه وفتح طريق البر والإحسان والجود التى هى أحب إلى ســـيده مـــن طريـــق الغضب والانتقام والعقوبة "(١) فهذا هو سر فرح الله بتوبة عبده.

((**تنبيه مهم**)) ينبغى علينا أن نؤمن بصفة الفرح بالنسبة لله تعـالى على الحقيقة ، وهذه الصفة من الصفات الفعلية الخبرية فنؤمن بها كما وردت ونقول: إن الله يفرح فرحاً يليق بجلاله ولا نقول : إن الله يفرح كما يفــــرح البشر ؛ لأن الله ﷻ ﴿ **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾ (٢).

....

(١) مدارج السالكين (١٦٩/١) . (٢) سورة الشورى : آية (١١) .

والفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق كالفرق بين الخالق والمخلوق وكل ما خطر فى بالك فالله بخلاف ذلك.

وأيضاً نثبت لله هذه الصفة من غير تكييف فلا نسأل ونقول : كيف يضحك الله فإن معنى الفرح معلوم ولكن الكيف مجهول ، والبحث عن الكيفية من أنواع البدع المحدثة ونوع من التكلف وقد نهينا عن التكلف.

ونؤمن أيضاً بهذه الصفة من غير تأويل ، فلا نقول كما قال أهل التأويل : إن الفرح معناه قبول التوبة والثواب الجزيل والعطاء الكريم ؛ لأن ما قالوه إنما هو لازم صفة الفرح وأثرها وليس هو حقيقة الفرح.

والذى أدى بأهل التأويل إلى تأويل الصفة بلازمها هو أنهم شبهوا الله بخلقه وقاسوا الخالق على المخلوق.. فقالوا : إن الفرح خفة وانفعال وتغير من حال إلى حال وكل ذلك لا يليق بالله تعالى.

وأهل التأويل وقعوا أولاً فى التشبيه ، ثم أرادوا أن يتخلصوا مما تورطوا فيه من التشبيه بارتكاب بدعة التأويل والقول على الله بغير علم.

واعلم أخى المسلم أن صفة الفرح بالنسبة لله تعالى تتضمن لطف الله بعباده ورحمته لهم ، حيث يوفق من يشاء من عباده ليتوبوا ، فإذا تابوا تقبل توبتهم وفرح بها فرحاً شديداً ولطيفاً فى وقت واحد ، إذ يُردّ إليه عباده الشاردين من طاعته لئلا يضيعوا ، وهو الذى لا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم.

أحكام أخرى تتعلق بالتوبة

ماذا يفعل التائب إذا تعذر عليه أداء الحق الذى فَرَّط فيه ؟

والجواب عن هذا السؤال ، أقول : إن الحقوق منها ما يتعلق بـــالله ، ومنها ما يتعلق بالعباد ، فإذا كان الحق يتعلق بالله تعالى كمن ترك الصـــلاة مثلاً لمدة من الزمن بعد البلوغ ثم تاب إلى الله تعالى وأقام الصلاة.

فقد اختلف أهل العلم فيمن هذا شأنه ، فذهب بعضهم إلى أنه يقضـــى بعد التوبة الفرائض التى تركها واستدل هذا الفريق بقول النبى ﷺ :" من نام عن الصلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها "[(١)].

وقالت طائفة أخرى من أهل العلم وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيميـــة " إن توبته باستئناف العمل فى المستقبل ، ولا يجب عليه تدارك ما مضى ، ولكنـــه يكثر من التوبة والاستغفار والندم على تفريطه فى حق الله تعالى " .

قالوا : لأن العبادات ينبغى أن تؤدى على الوجه الذى أمر الله به من حيث الصفة والوقت ، والعبادات التى جُعِل لها ظرف مـــن الزمـــان لا تصـــح إلا فيـــه كالعبادات التى جعل لها ظرف من المكان ، فنقل العبادة إلى أزمنة غـــير أزمنتـــها التى جعلت أوقاتاً لها شرعاً إلى غيرها كنقلها عن أمكنتها التى جعلت لـــها شـــرعاً إلى غيرها.

قالوا : فنقل الصلاة المحدودة الوقت عن زمنها إلى زمـــن آخـــر كنقـــل الوقوف بعرفة عن زمنه إلى مزدلفة ، ونقل أشهر الحج عن زمنها إلى زمن آخـــر لا فـــرق بين الأمرين.

وحقوق الله المؤقتة لا يقبلها الله فى غير أوقاتها، فكما لا تقبل قبل دخـــول أوقاتها لا تقبل بعد خروج أوقاتها.

****

(١) رواه البخارى (٥٩٧) ومسلم (١٥٣٨) وأحمد (٣/١٠٠،٢٨٢) عن أنس رضى الله عنه .

وأجاب هذا الفريق على دليل الفريق الأول وهو قول النبي ﷺ : " من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها " [١].

قالوا : إن صاحب الشرع شرط فى فعل الصلاة بعد وقتها أن يكون الترك عن نوم أو نسيان ، ولا يقاس المفرط العاصى المستحق للعقوبة على من عذره الله! ولم ينسب إلى تفريط ولا معصية كما ثبت عنه ﷺ فى الصحيح " ليس فى النوم تفريط ، وإنما التفريط فى اليقظة" وقال الله تعالى : ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا** ﴾ (البقرة ٢٨٦) .. فهذا لم يؤخر الصلاة عن وقتها عمداً ، فلا يصح إلحاق العاصى المفرط به ، والله أعلم [٢].

وأما إذا كان الحق يتعلق بالعباد وتعذر على التائب إعادته كمن أخذ مالاً – مثلاً – بغير وجه حق ولم يهتد إلى صاحبه بعينه أو إلى ورثته فإنه فى الحالة هذه " يتصدق بتلك الأموال عن أربابها ، فإذا كان يوم استيفاء الحقوق ، كان لهم الخيار بين أن يجيزوا ما فعل وتكون أجورها لهم ، وبين أن لا يجيزوا ، ويأخذوا من حسناته بقدر أموالهم، ويكون ثواب تلك الصدقة له. إذ لا يبطل الله سبحانه ثوابها ولا يجمع لأربابها بين العوض والمعوض فيغرمه إياها ويجعل أجرها لهم ، وقد غرم من حسناته بقدرها "[٣].

وأما إذا اغتصب الإنسان طيراً كدجاجة أو حمامة مثلاً أو حيواناً كناقة أو شاة فنتجت أولاداً .. فقيل : أولادها كلها للمالك ، فإن ماتت – أو شيء من النتاج رد أولادها وقيمة الأم وما مات من النتاج .. هذا مذهب الشافعى وأحمد فى المشهور عند أصحابه.

وقال مالك : إذا ماتت فربها (أى صاحبها) بالخيار بين أخذ قيمتها يوم ماتت وترك نتاجها للغاصب ، وبين أخذ نتاجها وترك قيمتها ، وعلى القول الثالث الراجح : يكون عليه قيمتها ، وله نصف النتاج .. والله أعلم. [٤]

••••••••••••••••••••

(١) سبق تخريجه (٢) انظر مدارج السالكين (١/٢٩٠-٢٩٨) ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٤٠).
(٣) مدارج السالكين (١/٢٩٩). (٤) المرجع السابق (١/٣٠٣).

صلاة الاستخارة

صلاة الاستخارة

عن جابر رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ يعلمنا الاستخارة فــــى الأمور كلها كالسورة من القرآن ، " **يقول : إذا همَّ أحدكم بـــــالأمر فلـــيركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأســـتقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلـــم ولا أعلـــم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لـــى فـــى دينـــى ومعاشى وعاقبة أمرى .. أو قال : فى عاجل أمرى وآجله .. فاقدره لـــى ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمـــرى .. أو قال : فى عاجل أمرى وآجله .. فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقـــدر لـــى الخير حيث كان ثم رضنى به ويسمى حاجته** " (١).

وفى رواية عن أبى سعيد الخدرى ، وزاد ((لا حول ولا قوة إلا بالله)) (٢).

فوائد الحديث

الاستخارة : معناها طلب العبد من الله ما هو خير له ، فى الأمريـــن من الفعل أو الترك من الخير وهو ضد الشر ، قوله : **(فى الأمور كلــــها)** قال الحافظ ابن حجر : قال ابن أبى جمرة : هو عام أريد به الخصوص ، فإن الواجب والمستحب لا يستخار فى فعلهما ، والحرام والمكروه لا يستخار فـــى تركهما ، فانحصر الأمر فى المباح وفى المستحب إذا تعارض منه أمــــران أيهما يبدأ به ويقتصر عليه.

....

(١) رواه البخارى (٦٣٨٢) كتاب الدعوات ، باب : الدعاء عند الاستخارة . وأبو داود (١٥٣٨) وأحمد (٣٤٤/٣) والترمذى (٤٨٠) والنسائى (٨٠/٦).

(٢) حسن رواه أبو يعلى (١٣٤٢) والطبرانى فى الدعاء (١٣٠٤) والبزار (٣١٨٥) وابن حبـــان (٨٨٥ - إحسان) وسيأتى فى شرح الحديث موضع هذه الجملة.

قلت : وتدخل الاستخارة فيما عدا ذلك فى الواجب والمستحب المخير وفيما كان زمنه موسعا ويتناول العموم العظيم من الأمور والحقير ، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم [١] ، ورب أمر يُستخف به " فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم أو فى تركه " [٢].

قوله : (كالسورة من القرآن) قال الطيبى : فيه إشارة إلى الاعتناء التام البالغ بهذا الدعاء وهذه الصلاة. [٣]

قوله ﷺ : **(إذا هم)** ، أى قصد [٤].

قوله ﷺ : **(أحدكم بأمر)** ، أى من نكاح أو سفر أو غيرهما مما يريد فعله أو تركه[٥].

قوله ﷺ : **(فليركع ركعتين)** فيه أن السنة فى الاستخارة كونها ركعتين فلا تجزئ الركعة الواحدة ، وهل يجزئ فى ذلك أن يصلى أربعاً أو أكثر بتسليمة ؟

يحتمل أن يقال يجزئ ذلك لقوله ﷺ فى حديث أبى أيوب : ثم صلِّ ما كتب الله لك " فهو دال على أنها لا تضر الزيادة على الركعتين ، ومفهوم العدد فى قوله فليركع ركعتين ليس بحجة على قول الجمهور [٦] " ، والظاهر أنه يشترط إذا أراد أن يسلم من كل ركعتين ليحصل مسمى ركعتين ولا يجزئ لو صلى أربعاً مثلاً بتسليمة وكلام النووى يشعر بالإجزاء. [٧]

قوله ﷺ : " **من غير الفريضة** " قال ميرك : فيه إشارة إلى أنه لا تجزئ الفريضة ، وما عين وقتاً فتجوز فى جميع الأوقات ، وإليه ذهب جمع ، والأكثرون على أنها فى غير الأوقات المكروهة [٨] .. وقال النووى فى "الأذكار" : لو دعا بدعاء الاستخارة عقب راتبة صلاة الظهر مثلاً أو غيرها من النوافل الراتبة

••••••••••••••••••••

(١) فتح البارى (١٨٨/١١) ط دار الريان للتراث. (٢) نيل الأوطار (٩٦/٣).

(٣) فتح البارى (١٨٨/١١). (٤) مرقاة المفاتيح ــ الملا على القارى (٤٠١/٣).

(٥) المصدر السابق (٤٠١/٣). (٦) نيل الأوطار (٩٧/٣).

(٧) فتح البارى (١٨٩/١١). (٨) مرقاة المفاتيح (٤٠٢/٣).

والمطلقة سواء اقتصر على ركعتين أو أكثر أجزأ .. كذا أطلق وفيه نظـــر ، ويظهر أن يقال : إن نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معـاً أجـزأ بخلاف ما إذا لم ينو[1] لأنه ﷺ " إنما أمره بذلك بعد حصول الهم بـــالأمر ، فإذا صلى راتبة أو فريضة ثم همَّ بأمر بعد الصلاة أو فى أثناء الصـــلاة لـم يحصل بذلك الإتيان بالصلاة المسنونة عند الاستخارة ، قال العراقى : إن كان همه بالأمر قبل الشروع فى الراتبة ونحوها ثم صلى من غير نية الاستخارة وبـــدا له بعد الصلاة الإتيان بدعاء الاستخارة فالظاهر حصول ذلك[2].

ماذا يقرأه المستخيرفى الركعتين

لم يرد نص عن النبى ﷺ فيه تحديد ما يقرأ المستخير فى الركعتيـــن بعد الفاتحة ، وقال الحافظ ابن حجر: أفاد النووى أنه يقـــرأ فـــى الركعتيـــن (الكافرون والإخلاص) قال شيخنا فى (شرح الترمذى) : لم أقف على دليـــل ذلك ، ولعله ألحقهما بركعتى الفجر والركعتين بعد المغرب ، قـــال : ولـــهما مناسبة بالحال لما فيهما من الإخلاص والتوحيد والمستخير محتاج لذلك.

قال شيخنا : ومن المناسب أن يقرأ فيهما مثل قوله تعالى : ﴿ **وربك يخلـق ما يشاء ويختار** ﴾ وقولـه : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضـى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة** ﴾ قلت : والأكمل أن يقرأ فى كل منهما السورة والآيـــة الأوليين فى الأولى والأخريين فى الثانية[3].

قلت: الصواب ــ والله أعلم ــ أن يقرأ المستخير بما يتيسر له دون التقيـد بسورة أو آية بعينها.

قوله ﷺ **(ثم ليقل)** ؛ أى بعد الصلاة[4] ولا يضر تأخر دعـــاء الاســـتخارة عـــن الصلاة ما لم يطل الفصل ، وأنه لا يضر الفصل بكلام آخر يسير ، وخصوصا إن

....

(١) فتح البارى (١١/١٨٩).
(٢) نيل الأوطار (٣/٩٧).
(٣) فتح البارى (١١/١٨٩).
(٤) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٢).

كان من آداب الدعاء لأنه أتى بثم المقتضية للتراخى[1] ولو دعا به فى أثناء الصلاة احتمل الإجزاء[2]، ويحتمل أن يكون الترتيب فيه بالنسبة لأذكار الصلاة ودعائها فيقوله بعد الفراغ وقبل السلام[3]، فإن موطن الدعاء فى الصلاة السجود أو التشهد.

وقال ابن أبى جمرة : الحكمة فى تقديم الصلاة على الدعاء : أن المراد بالاستخارة حصول الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة فيحتاج إلى قرع باب الملك ولا شيء لذلك أنجع ولا أنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه مآلاً وحالاً. [4]

وقوله ﷺ " **اللهم إنى أستخيرك** " ، أى أطلب منك الخير .. قال صاحب المحكم : استخار الله طلب منه الخير ، وقال صاحب النهاية : خار الله لك ، أى أعطاك الله ما هو خير لك [5] .

وقوله ﷺ : **(بعلمك)** ، أى بسبب علمك ، والمعنى أطلب منك أن تشرح صدرى لخير الأمرين بسبب علمك بكيفيات الأمور وجزئياتها ، وكلياتها إذ لا يحيط بخير الأمرين على الحقيقة إلا من هو كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرلكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ [6] .

قوله ﷺ : " **واستقدرك** " ، أى أطلب منك أن تجعل لى قدرة ، ويحتمل أن يكون المعنى أطلب منك أن تقدره لى والمراد بالتقدير التيسير[7] .

قوله ﷺ : " **وأسألك من فضلك العظيم** " ، أى تعيين الخير وتبيينه وتقديره وتيسيره وإعطاء القدرة لى عليه [8] .

وفيه إشارة إلى أن إعطاء الرب فضل منه وليس لأحد عليه حق فى نعمة كما هو مذهب أهل السنة[9] .

....

(١) نيل الأوطار (٩٧/٣) . (٢) فتح البارى (١٨٩/١١) . (٣) المصدر السابق (١٣/ ٣٨٨).
(٤) المصدر السابق (١١ / ١٨٩). (٥) نيل الأوطار (٩٧/٣). (٦) مرقاة المفاتيح (٤٠٢/٣).
(٧) فتح البارى (١٨٩/١١). (٨) مرقاة المفاتيح (٣ / ٤٠٣). (٩) فتح البارى (١١ / ١٨٩).

قوله ﷺ :" **فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم**" إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده ، وليس للعبد من ذلك إلا ما قدّر الله له وكأنه قال : أنت يارب تقدر قبل أن تخلق فيّ القدرة وعندما تخلقها فى وبعد ما تخلقها [1] وأنت علمك محيط بجميع الأشياء خيرها وشرها كلها وجزئيها ، ممكنها وغيرها (ولا أعلم) شيئاً منها إلا بإعلامك وإلهامك .[2]

وقوله ﷺ : " **وأنت علام الغيوب** " ، أى أنت تعلم بما يغيب عن السوى ، فإنك تعلم السر وأخفى ، فضلاً عن الأمور الحاضرة ، والأشياء الظاهرة فى الدنيا والآخرة ، وهذا الكلام تذييل وتتميم وتكميل مع إطناب وتأكيد لما قبله ، ومقام الدعاء خليق بذلك[3].

وقوله ﷺ :" **اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر**"، أى الأمر الذى يستخير من أجله ويذكر هذا الأمر " وينطق به " ويحتمل أن يكتفى باستحضاره بقلبه عند الدعاء .

وقوله ﷺ :" **إن كنت** " استشكل الكرمانى الإتيان بصيغة الشك هنا ولا يجوز الشك فى كون الله عالما ، وأجاب بأن الشك فى أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا فى أصل العلم [4].

وقال الطيبى : معناه اللهم إنك تعلم ، فأوقع الكلام موقع الشك على معنى التفويض إليه والرضا بعلمه فيه ، وهذا النوع يسميه أهل البلاغة تجاهل العارف ، ومزج الشك باليقين ، ويحتمل أن الشك فى أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا فى أصل العلم.

وقد عقب الملا على القارى على كلام الطيبى فقال : والقول الآخر هو الظاهر ، ونتوقف فى جواز الأول بالنسبة إلى الله تعالى[5].

....

(١) المصدر السابق (١١/١٨٩) (٢) مرقاة المفاتيح (٣ /٤٠٣). (٣) المصدر السابق (٣ / ٤٠٣) .
(٤) فتح البارى (١١/ ١٩٠). (٥) مرقاة المفاتيح (٤٠٣/٣) .

وقوله ﷺ :" خير لى فى دينى ومعاشى" ، أى فيما يتعلق بدينى أولاً وآخراً "ومعاشى" : فى الصحاح العيش الحياة (1)، ويحتمل أن يريد بالمعاش ما يعاش فيه ، ولذلك وقع فى حديث ابن مسعود فى بعض طرقه عند الطبرانى فى (الأوسط) " فى دينى ودنياى " ، وفى حديث أبى أيوب عند الطبرانى " فى دينى وآخرتى " (2).

وقوله ﷺ :" وعاقبة أمرى أو قال : فى عاجل أمرى وآجله" قال الجزرى: " أو " فى الموضعين للتخيير ، أى أنت مخير إن شئت قلت : عاجل أمرى وآجله ، أو قلت : معاشى وعاقبة أمرى .

قال الطيبى : الظاهر أنه شك (أى الراوى) فى أن النبى ﷺ قال : عاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله(3).

قال الحافظ ابن حجر : وعلى هذا فقول الكرمانى : لا يكون الداعى جازماً بما قال رسول الله ﷺ ، إلا إن دعا ثلاث مرات يقول مرة : فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، ومرة : فى عاجل أمرى وآجله ، ومرة : فى دينى وعاجل أمرى وآجله.. قلت ، ولم يقع ذلك أى الشك فى حديث أبى أيوب ولا أبى هريرة أصلاً(4).

وقال الملا على القارى : واعلم أن المروى فى سائر أحاديث الاستخارة إنحسر فى الأول .(5)

ومعنى قوله ﷺ : " وعاقبة أمرى " ، أى معادى (6).

وقوله ﷺ : " فاقدره " بضم الدال ويجوز كسرها ، أى فجزه لى (7).

....

(1) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٢).
(2) فتح البارى (١١/١٩٠).
(3) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٣)
(4) فتح البارى (١١/١٩٠).
(5) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٥).
(6) المصدر السابق (٣/٤٠٥)
(7) فتح البارى (١٣/٣٨٨).

وقوله ﷺ : " **فاصرفه عنى** " ، أى بالبعد بينى وبينه وبعدم إعطائى القدرة لى عليه وبالتعويق والتعسير فيه. (**واصرفنى عنه**) قال ابن الملك : تأكيد لقوله فاصرفه ؛ لأنه لا يكون مصروفاً عنه إلا ويكون هو مصروفاً عنه ، ويجوز أن يراد بقوله : فاصرفه عنى لا تقدرنى عليه ، وبقوله : اصرفنى عنه .. اصرف خاطرى عنه حتى لا يكون سبب اشتغال البال [1] وحتى لا يبقى قلبه بعد صرف الأمر عنه متعلقاً به [2].

قوله ﷺ : " **واقدر لى الخير حيث كان** " زاد أبو سعيد الخدرى فى حديثه : بعد قوله : واقدر لى الخير أينما كان **(لا حول ولا قوة إلا بالله)**[3] .. ومعنى " حيث كان " ، أى الخير من زمان أو مكان [4].

وقوله ﷺ : " **ثم رضنى به** " بتشديد المعجمة ، أى اجعلنى بذلك راضيا فلا أندم على طلبه ولا على وقوعه لأنى لا أعلم عاقبته ، وإن كنت حال طلبه راضيا به[5] ، والرضا سكون النفس إلى القضاء[6].

قوله ﷺ : " **ويسمى حاجته** " ، أى فى أثناء الدعاء عند ذكرها بالكناية عنها فى **قوله** : إن كان هذا الأمر [7].

....

(١) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٥).
(٢) فتح البارى (١١/١٩٠).
(٣) سبق تخريجه
(٤) مرقاة المفاتيح (٣/٤٠٥)
(٥) فتح البارى (١٣/٣٨٨).
(٦) المصدر السابق (١١/١٩٠)
(٧) نيل الأوطار (٣/٩٧)

ماذا يفعل المستخير بعد الاستخارة ؟

قال الحافظ ابن حجر : قال ابن عبد السلام : يفعل ما اتفق ، ويستدل لـــه بقوله فى بعض طرق حديث ابن مسعود ، وفى آخـــره : " ثـم يعـــزم " ، وأول الحديث " إذا أراد أحدكم أمراً فليقل " ، وقال النووى فى " الأذكار " : يفعـــل بعـــد الاستخارة ما ينشرح به صدره ، ويستدل له بحديث أنس عند ابـــن الســـنى : " إذا هممت بأمر فاستخر ربك سبعاً ثم انظر إلى الذى يسبق فى قلبك فإن الخير فيـــه "[١] .. وهذا لو ثبت لكان هو المعتمد ، لكن سنده واه جدا ، والمعتمد أنه لا يفعل مـا ينشرح به صدره مما كان له فيه هوى قوى قبل الاستخارة ، وإلى ذلـــك الإشـــارة بقوله فى آخر حديث أبى سعيد " ولا حول ولا قوة إلا بالله "[٢] .

وعقب الشوكانى على كلام النووى بقوله : بل ينبغـــى للمســـتخير تـــرك اختياره رأساً وإلا فلا يكون مستخير الله بل يكون مستخيراً لهواه ، وقد يكون غـــير صادق فى طلب الخيرة وفى التبرى من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعـــالى ، فـــإذا صدق فى ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه[٣] .

قلت : بعض الناس يصلى صلاة الاستخارة قبل أن ينام ويقصد بذلـــك أن يرى فى منامه نتيجة الاستخارة ، وهذا الأمر لم يرد به نص عن المعصوم ﷺ .

والراجح – والله أعلم – أن المستخير يمضى فى الأمر الذى اســـتخار الله لهفإن كان فيه خير فسوف ييسره الله له وإن كانت الأخرى فإن الله تعالى سيصرفه عنه بعدم التيسير والتوفيق .

والله أعلم ...

....

(١) ضعيف جدا . رواه ابن السنى فى "عمل اليوم والليلة " (٥٩٨) وفى سنده إبراهيم بن البراء بن النضر بـــن أنس بن مالك ، وهو شديد الضعف كما قال العراقى ، وعبيد الله بن الحميرى ، قال الألبـــانى : لا أعرفـــه " الكلام الطيب " (١١٦) وقال النووى فى الأذكار (ص١٦٩) إسناده غريب فيه من لا أعرفهم .

(٢) فتح البارى (١١/١٩١).

(٣) نيل الأوطار (٣/٩٨).

الفهرس

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
☎٠٥٠/٤٤١١٩١